تَجَلِّيَاتُ الحِكْمَةِ فِي أُرْجُوزَةِ (نَظْمِ السُّلُوكِ) لِلْمَلْزُونِي

م.د. أحمد حسن حلو جعفر
كلية هندسة الحاسوب
الجامعة التكنولوجية

الكلمات المفتاحية: عبد العزيز الملزوزي، الحكمة، الحكم الإنسانية، الحكم الدينية

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى تحليل أرجوزة (نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك) للشاعر عبد العزيز الملزوزي، موضحًا تجليات الحكمة في مختلف جوانب الحياة، من خلال تسليط الضوء على القيم الدينية، والاجتماعية، والسياسية التي عبّر عنها الشاعر في أبياته. ويهدف البحث إلى فهم كيفية استخدام الملزوزي لأرجوزته كأداة لتوجيه النصائح والحِكم الإنسانية، والأخلاقية، والسياسية، والاجتماعية، والدينية، وتوضيح مفهوم التواضع والعدالة في التعامل مع الآخرين، وسبب نظم الشاعر الملزوزي لأرجوزته التي أرّخ فيها تاريخ المغرب والأندلس، التقرب من الخليفة، وتولى وظيفة الحسبة في الدولة.

المقدمة:

يُعَدّ شعر الحكمة من أبرز الأغراض الشعرية في الأدب العربي القديم، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً بين الناس، لما يحمله من معانٍ خالدة وآثار باقية عبر الأجيال. فالحكمة لسان القلوب والعقول، تعبّر عن مكنونات النفس تجاه المواقف والأحداث، وتخفف من أثقال الهموم والأحزان، وتداوي الأرواح من الآلام والأسقام. وكلما نُظِمت الحكمة على لسان شاعر فحل، زاد تأثيرها عمقاً وانتشاراً.

ومن هذا المنطلق، وجدت في الحديث عن تجليات الحكمة في أرجوزة (نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك) للشاعر الأندلسي عبد العزيز الملزوزي، موضوعاً جديراً بالتأمل والبحث.

وقد توزعت مادة البحث على تمهيد، ومبحثين، وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

منهج البحث: سَلك المنهج الوصفيّ، وبعض أدواته، كالوصف والتَّحليل والمُلاحظة.

التمهيد:

(عبد العزيز الملزوزي، وسيرته العلمية، وتعريف مفهوم الحكمة)

أولاً: عبد العزيز الملزوزي سيرته العلمية:

هو عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي وذكر باسم عبد الرحمن[1]، ويعرف بعَزُّوْز ويكنى بابي فارس[2]، درس الفقه واصوله والعلوم المتفرعة عنه على علماء عصره، ولولا ذلك لما تم توظيفه؛ لأنهم اشترطوا لمن يريد التوظيف أن يكون فقيهاً متديناً نظراً لظروف مجتمعهم الدينية والخلقية، ومما دل على تفقه الملزوزي هو أرجوزته الشعرية التي أكثر فيها من الاستشهادات القرآنية والتضمينات للسنة النبوية، مما دل على تشبعه بالروح الإسلامية[3]، والملزوزي من سكان مدينة مكناسة البربرية، مدينة بالمغرب الأقصى، وتعد إحدى قبائل زناتة البربرية، لذلك فهو مكناسي الدار[4]، ويرجع نسبه إلى قبيلة ملزوزة الزناتية البربرية، فهو من البربر ومعرفته باللسان البربري والعربي يسرت له الخطوة فيما بعد وصار شاعر الدولة المرينية[5]، ولأنه مؤرخ، وشاعر لتلك الدولة، حظي بمنزلة مرموقة عندهم، وأغلب شعره في وقائع وحروب قبيلة بني مرين[6]، وتولى مهمة الكتابة ثم الحسبة ويقصد بها الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس، والمحتسب من نصبه الإمام للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم[7]، في دولتهم، وأهتم المرينيون بوظيفة الحسبة أهتماماً كبيراً؛ لأن المحتسب يشغل أدارة هامة في كل مدينة، حتى أن المحتسب شارك الوالي والقاضي في أدارة شؤون المدن[8]، ولا تعطى هذه الوظيفة الا لمن توفرت لديه شروط معينة منها أن يكون حراً عدلاً ذا رأي وقوة في الدين، وأن يكون المحتسب فقيهاً عالماً بأحكام الشريعة الإسلامية حتى يستطيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[9].

يعد الملزوزي شاعراً للدولة المرينية ومؤرخاً لها، له أثر علمي مهم وهو أرجوزته الشعرية التي سماها(نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك) وهي قصيدة من بحر الرجز، وامتازت بسهولتها ووضوحها، فهي شعر يسهل في السمع ويقع في النفس لخفته[10]، وهي نوع من أنواع الشعر التقليدي في الثقافة العربية، وجزءاً مهماً من التراث الشعبي، ومن أهم الآثار الأدبية والتاريخية التي بقيت مفقودة طوال سبعة قرون، إلى أن تمكن بعض المؤرخين المعاصرين الحصول عليها ومنهم عبد الله كنون، غير أن الأستاذ عبد الوهاب بن منصور تمكن من العثور عليها في الخزانة السلطانية بفاس ونالت الرطوبة الكثير منها، فقام بنسخها وتحقيقها حتى ظهرت بالشكل الذي هي عليه الآن[11]، عرض الملزوزي في منظومته الشعرية التاريخ منذ الخليقة وإلى زمن الأمير

المنصور المريني الذي كتب له الأرجوزة[12]؛ لذلك تكمن أهميتها في الحفاظ على تراثنا الشعري واللغوي، وتسلط الضوء على القضايا والتحديات التي واجهت المجتمعات القديمة، فضلاً عن مساعدة الباحثين والقراء على فهم تاريخ وثقافة تلك العصور بشكل ادق واعمق.

وقد بلغت حظوته عند أمراء بني مرين وبالتحديد السلطان المنصور المريني[13] والسبب نظمه لتلك الأرجوزة فهو قربه من سلاطين بني مرين، نظراً لذلك أصبح الشاعر اللسان الناطق لحكام وسلاطين بني مرين، وردت الحكم بصورة واضحة في أرجوزته؛ لأنه مدرك منزلة الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واستخلص العبر والمواعظ في هذه الحياة حلوها ومرها، فسجل الحكم الخالدة البليغة الواضحة، مستمد معانيها من الدين الإسلامي.

ثانياً: الحكمة:

تعريف الحكمة في المعاجم اللغوية مرتبط بالمعرفة والتدقيق في أمور الناس، حتى أنها وسيلة وغاية في الوقت نفسه، ذكر في المعجم الوسيط أن (الحِكْمَة) تعني: "معرفة أفضلِ الأَشياء بأَفضل العلوم، والعلم والتفقُّه. وفي التنزيل العزيز: {وَلَقَدْ آتَينَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ}[14]...وهي الكلام الذي يقلّ لفظُه ويَجِلّ معناه ، وجمعها (حكم)"[15]. و(الحكيم): "العَالِمُ وصاحِبُ الحِكْمة ، والحكيم أيضاً المتْقِن للأُمور"[16]، ويُقال اسم الحكيم لا يليق بالإنسان قط، بل يليق بالإله وكفى الإنسان شرفا أن يكون محبا للحكمة و ساعيا وراءها[17]. اما اصطلاحاً فقد تنوعت أراء كثيرة في تحديد دلالة لفظة الحكمة وعُرفت بأنها: "كلمة جامعة تلخص نظرية أو مجموعة ملاحظات وتجارب"[18]. وفي تعريف آخر للحكمة، هي "قَوْلٌ بَلِيغٌ مُوجَزٌ صَائِبٌ، يَصْدُرُ عَنْ عَقْلٍ وَتَجْرِبَةٍ وَخِبْرَةٍ بِالحَيَاةِ، وَيَتَضَمَّنُ حِكْمَةً مُسَلَّمًا تَقْبَلُهَا العُقُولُ، وَتَنْقَادُ لَهَا النُّفُوسُ وَالمَشَاعِرُ"[19].

والحكمة هي كل كلام موجه إلى الإنسان في سبيل هداية أو إرشاد أو وعظ ، في الحياة العملية، وفي الأدب كانت عبارة موجزة ذات مغزى أخلاقي، وهذا ما يسمونه جوامع الكلام والأقوال الموجزة العبارة غنية المعنى سهلة الحفظ، متماسكة التركيب في اجزائها، مترابطة الألفاظ، توحي فيها اللفظة باللفظة وتسوق فيها الكلمة بالكلمة في تناغم موسيقي وتجاوب صوتي، وتهدف إلى توجه الحياة في طريق الفطنة والاستقامة[20].

وقد مثّلت أرجوزة (نظم السلوك) خلاصة تجارب ومواعظ، لا تصدر إلا عن رجل مثقف، واسع الاطلاع، صاحب تجربة مع الخلفاء، والسلاطين، والأمراء، وعامة الناس. وهو رجل متدين، يؤمن بالله، والحساب، والكتاب، ويدرك أن الحياة مدبَّرة، زائلة، لا تدوم لأحد. لذلك وجّه وصاياه إلى المتلقي، ناصحًا بما رآه وعايشه في دنياه[21].

المبحث الأول

الحِكَم الدينية ويقصد بها المواعظ والعِبر المستنبطة من تعاليم الدين الإسلامي، وتهدف إلى توجيه الإنسان للصواب في العقيدة والعمل والأخلاق، وتستند هذه الحِكَم إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية، وقصص الأنبياء، فقد عبّر الشاعر عن المبادئ الدينية والقيم الأخلاقية التي يدعو إليها الدين الإسلامي، وللحكم الدينية عدة اقسام، منها:

اولاً:**الحكم المتعلقة بالآخرة والبعث**: هي الحكم التي تتناول موضوعات الموت، والحساب، والجنة، والنار، والبعث بعد الموت. وتتعلق هذه الحكم بفكرة أن الحياة الدنيا مؤقتة، وأن الحياة الحقيقية تبدأ في الآخرة، حيث سيحاسب كل إنسان على أعماله. ومثال ذلك قول الشاعر:

وَكُلُّ نَفْسٍ بِالرَّدَا رَهِينَه إِلَّا الَّذِينَ رَكِبُوا السَّفِينَه[22]

وقد عبّر الشاعر في هذا البيت عن الحقيقة الدينية أن كل إنسان في النهاية سيكون محكومًا بالموت (الردا)، لكن النجاة تكون فقط لمن اتبعوا سبيل الهداية والإيمان، الذين يُمثلون (الذين ركبوا السفينة)، وعزز الشاعر حكمته بالاقتباس من القرآن الكريم في قصة نوح (عليه السلام)، كما في قوله تعالى{**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**}[23]،

الحكمة المقتبسة من الآية الكريمة، متمثله بالرمز النجاة في الآخرة للمؤمنين الذين يسلكون طريق الهداية. وهذا ما ذكره الله تعالى للنجاة التي أُعطيت للذين آمنوا وركبوا مع نوح (عليه السلام) في السفينة.

وفي بيت آخر يوظف الشاعر الاقتباس غير المباشر ليعزز الحكم الدينية، بقوله:

كُلُّ امْرِئٍ يُجْزَا بِمَا قَدْ فَعَلَا فَكُنْ مُعَافًا فِي الْجَزَا أَوْ مُبْتَلَا[24]

هذا البيت يرسّخ فكرة العدالة الإلهية في الجزاء، إما بالعافية (الثواب)، أو بالبلاء (العقاب)، وفقًا لأعمال الإنسان؛ لأن كل إنسان سيُحاسَب على أفعاله، وسينال جزاء ما قدّمه في الدنيا، سواء أكان خيرًا أم شرًّا، وهو ما يتوافق مع مبدأ الحساب في الآخرة، معزّزًا حكمته بالاقتباس من القرآن الكريم:{**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ*، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**}[25].

ثانياً: الحِكم الدينية المتعلقة بحقيقة الدنيا وفنائها: هي الحكم التي تُبيّن أن الدنيا زائلة، وأن ما فيها من متاع ولذّات لا يدوم، مهما طال زمنه أو حسُن مظهره. كما تُذكّر بأن الحياة لا تستقر على حال، وأن الباقي الوحيد هو الله تعالى، الحي القيوم، ومثال ذلك قول الشاعر:

إِنَّ الزَّمَانَ مَا لَهُ أَمَانْ وَإِنْ تَمَادَى الحُسْنُ وَالإِحْسَانُ

تَعْسًا لِهَذَا الدَّهْرِ مَا أَنْكَاهُ إِنْ أَضْحَكَ المَرْءَ ضُحًى أَبْكَاهُ

وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهِ لَا يَدُومُ إِلَّا الإِلٰهَ الوَاحِدَ القَيُّومُ[26]

هذه الأبيات تُجسّد بوضوح معنى فناء الدنيا وزوال متاعها، وتُنبّه الإنسان إلى أن الحياة لا تستحق التعلّق بها؛ لأنها مليئة بالتقلّب والغدر، بينما البقاء والدوام لله وحده. وهذا يُرسّخ قيمة دينية عظيمة، وهي الزهد في الدنيا والاستعداد للآخرة. واستخدم الشاعر لغة رمزية ودلالات دينية، مبتعدًا عن الاقتباس المباشر للقرآن الكريم، إذ عبّر عن فكرة فناء الدنيا وبقاء الله وحده. وقد نجح في دمج التجربة الإنسانية مع الحكمة الدينية، مستوحياً ذلك من قوله تعالى:{**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ***، **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**}[27].

ثالثاً: الحِكَمُ الإيمانية في الجهاد ونَيلِ الشهادة: هي تلك الأقوالُ والأفكارُ التي عبّر فيها الشاعرُ عن القيمِ الدينيةِ المتعلقةِ بالجهادِ في سبيلِ الله، مُبيّنًا عظيمَ أجرِه، وعلوَّ منزلةِ من يخوضُه بإخلاص، لا سيما من يُستشهَدُ فيه. وتستندُ هذه الحِكَم إلى المفاهيمِ الإسلاميةِ التي تؤكد أن الشهداءَ أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، قال الشاعر:

طُوبَى لِمَنْ قَدْ كَثُرَ السَّوَادَا لَوْ لَمْ يَجِئْ طَعْنًا وَلَا طِرَادَا

إِنَّ الْجِهَادَ أَجْرُهُ كَبِيرُ وَقَدْرُهُ لِأَهْلِهِ خَطِيرُ

مَنْ مَاتَ فِيهِ فَهُوَ حَيٌّ يُرْزَقُ فَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ لَا تُلْحَقُ[28]

ففي هذه الأبيات الحكمة الإيمانية في فضل الجهاد وعلو منزلة الشهيد، حيث يمدح الشاعر مَن يشارك في صفوف المجاهدين حتى وإن لم يقاتل، ويؤكد أن أجر الجهاد عظيم ومنزلته عالية عند الله. ويشير إلى أن من يُستشهد في سبيل الله لا يموت، بل يظل حيًّا يُرزق عند ربه، مستندًا إلى الاقتباس القرآني غير المباشر، من قوله تعالى: {**بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**}[29].

رابعاً: الحِكَم الإيمانية في الصبر والتوكل على الله: هي تلك المبادئ الدينية التي تحث على التحلي بالصبر في مواجهة الصعوبات والشدائد، مع الإيمان الكامل بتدبير الله وتمام قدرته. تُظهر هذه الحِكَم أن الصبر ليس مجرد تحمل للألم، بل هو فعل من أفعال العبادة والتقوى، بينما يُعد

التوكل على الله أساس الثقة والتسليم بأن الله هو المدبر والميسر للأمور. تعكس هذه الحِكَم الفكرة العميقة التي تؤكد أن بعد العسر يسرًا، وأن النصر لا يتحقق إلا بالصبر الجميل، والتوكل التام على الله. ومثال ذلك ما ورد في قول الشاعر:

مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِغَيْرِ الصَّبْرِ وَلَا تَحَصَّنَ بِمِثْلِ الْحَذَرِ

أَبْشِرْ بِيُسْرٍ إِنْ أَتَاكَ الْعُسْرُ عَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ النَّصْرُ[30]

تؤكد هذه الأبيات على أهمية الصبر في مواجهة التحديات، مشيرة إلى أن الإنسان لا يحقق النجاح من دون التحلي بالصبر، وتُبيّن أن الحذر لا يغني عن التوكل على الله، فالحذر مهم ولكن يجب أن يصاحبه توكل على الله لتحقيق الفرج. وأن اليسر سيأتي بعد العسر، وهو ما يتوافق مع قوله تعالى:{**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**}[31] ، وهذا ايضاً اقتباس غير مباشر، ليؤكد أن الصبر الجميل يؤدي إلى النصر.

المبحث الثاني

الحِكم الإنسانية: هي عباراتٌ موجزة، وأقوالٌ مأثورة، قد عبّرت عن تجارب بشرية متنوعة المواقف، وتُستخلص منها دروسٌ أخلاقية، وتوجيهاتٌ سلوكية تهدف إلى تعزيز القيم النبيلة، والارتقاء بالإنسان. وقد تنبع الحِكم الإنسانية من تأمّلٍ عميقٍ في مجريات الحياة، فتجسّد معاني العدل، والرحمة، والتسامح، والصبر، والإحسان، التحذير من الطمع والغدر.

وتُعدّ هذه الحِكم انعكاسًا حيًّا لضمير الإنسان، حيث تستمدّ جوهرها من خلاصة تجارب الفلاسفة، والمفكرين، والشعوب عبر العصور.

تُقسَّم الحِكم الإنسانية في الشعر إلى محاور متعددة، منها:

أولاً: الحِكم الأخلاقية: يُقصد بالحِكم الأخلاقية تلك الأقوال التي تتناول سلوك الإنسان وأفعاله، وعلاقته بربه، ونفسه، والآخرين من حوله. وقد عبّرت عن القيم التي فُرضت على كل فرد؛ كالصّدق، والأمانة، والقناعة، ومكارم الأخلاق.

وقد تعددت موضوعات هذا النوع من الحِكم في أرجوزة (نظم السلوك)، فانبثقت من تقوى الشاعر الملزوزي، وعمق إحساسه، وحرصه على توجيه الناس نحو الفضيلة والصلاح. ومثال ذلك قوله في التفاؤل، والصبر، وتوكّل القلب على الله في جميع أموره.

إنَّ الظَّلَامَ بَعْدَهُ يَبدو الصَّبَاحُ وَكَمْ فَسادٌ كانَ عُقْبَاهُ الصَّلَاحُ

الدَّهْرُ لا يَجري عَلَى قِياسٍ فَسَلِّمِ الأمرَ لِرَبِّ النَّاسِ[32]

يخبرنا الشاعر أنّ بعد كل محنة يأتي الفرج والنور، مهما ساءت الأحوال؛ ففي النهاية، يتحقق الصلاح، لأنّ الحياة لا تسير دائمًا كما نتوقّع، والحكمة تكون في التسليم لله وتفويض الأمر إليه.

وقال الشاعر عن التواضع، والإيمان بالقدر:

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ جُودُهُ أَغْنَاهُ وَكَمْ أَمِيرٍ سَيْفُهُ أَفْنَاهُ

وَكَمْ شُجَاعٍ فِي الْوَغَى قَدْ جَدَّلَهْ يَلْقَى الْكَمِيَّ حَتْفَهُ إِنْ جَدَّلَهْ[33]

يحث الشاعر في هذه الأبيات على التواضع، مؤكدًا أن العبرة لا تكمن في المال، والقوة، والشجاعة، بل في التواضع، والعمل الصالح، والإيمان بالمصير المحتوم.

ثانياً: الحِكم الفلسفية: هي تأملات الشاعر في قضايا الحياة المهمة، مثل: الموت، والقدر، والزمان، والسعادة، والمعاناة.

وقد عبّرت عن نظرة الشاعر العميقة للحياة، وتطرح تساؤلات حول مصير الإنسان، وسبب وجوده، وما يمكن فهمه بعقله. ومثال ذلك:

لَا تَأْمَنَنَّ الدُّنْيَا وَلَا الزَّمَانَا وَلَا تَرجُ مِنْهُمَا أَمَانًا

وَكُنْ وَقِيتَ مِنْهُمَا عَلَى حَذَرٍ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي بِمَا يَجْرِي القَدَرُ

لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ الْغُرُورَ عَاقِلٌ إِلَّا جَهُولٌ بِالْأُمُورِ غَافِلُ

بَيْنَا الْفَتَا يَلْهُو بِجَمْعِ الْمَالِ وَيُكْثِرُ الْحِرْصَ مَعَ الْآمَالِ[34]

وضح الشاعر في هذه الأبيات أن الإنسان لا يملك السيطرة الكاملة على حياته، لأن الزمان متقلّب، والمصير بيد القدر؛ فالعقل والحذر لا يضمنان النجاة دائمًا، والثقة الزائدة بالحياة قد تنتهي بالخيبة، مما يعكس وعيًا بحدود قدرة الإنسان أمام تقلبات الوجود.

مَا الْفَتَى إِلَّا الَّذِي قَدْ قَدَّمَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْقَى الرَّدَا وَيَنْدَمَا[35]

في هذا البيت دعوة للتأمّل في نهاية الحياة، يبيّن الشاعر أن ما ينفع الإنسان هو عمله الصالح قبل الموت؛ لأن الندم لا يفيد بعد فوات الأوان.

ثالثاً: الحِكم السياسية: عبّرت عن رؤية الشاعر للعدالة والسلطة، وتناولت أخلاق الحُكّام وعلاقة الحاكم بالشعب؛ فهي غالبًا تدعو إلى العدل، وتنتقد الظلم، وتعكس طموحات الناس في الإصلاح والتغيير.

وقد وظف الشاعر الملزوزي الحكمة السياسية في أرجوزته، لأنه شاعر، ومؤرخ، وموظف في الدولة، ويؤكد من خلال خبرته أهمية اختيار وزراء نزيهين وأكفاء؛ لأنهم أساس في استقرار الدولة، وحُسن العلاقة بين الحاكم والشعب، ومثال ذلك قوله:

إِنَّ العُلَا عَمَدَتُهَا الوِزَارَه بِهَا يَتِمُّ الرَّأْيُ وَالإِدَارَه

لا تَأْمَنَنَّ مَحَبَّةَ الأَمِيرِ إِنْ كَانَ بَعْضُ الغِشِّ فِي الوَزِيرِ

وَلْيَحْذَرِ الوَزِيرُ شَرَّ الآمِرِ إِنْ خَالَفَ الأُمُورَ فِي الأَوَامِرِ[36]

ففي هذه الأبيات وضح الشاعر دور الوزراء في بناء الدولة واستقرارها، حيث تؤكد على أن الوزير الصالح يُعين الحاكم على النجاح، بينما يؤدي الوزير الفاسد إلى فساد الحكم وسخط الشعب. كما تُحذّر من عواقب مخالفة أوامر الحاكم.

ومن الحكم السياسية التي وردت في الأرجوزة، أن القيادة لا تُكتسب بالمال، بل تُبنى بالحكمة والقوة الحقيقية، ومن يعتمد على المال دون قيادة قوية سيكون الأضعف. ومثال ذلك قول الشاعر:

قد قيلَ إنْ رأيتمُ الوزيرَا بمالِهِ يُكاثِرُ الأميرَا

إذا الأميرُ النَّدْبُ لم يَصْرَعْهُ فإنَّهُ مَصْروعُهُ فَدَعْهُ[37]

وقد وضح الشاعر في هذين البيتين، أن المال لا يكفي لصنع القادة، فالقوة الحقيقية في القيادة والحكمة، لا في المال. والوزير الغني لا يستطيع أن يتفوّق على الأمير صاحب الهيبة والمكانة.

رابعاً: الحِكم الاجتماعية: وهي الحكم التي عبّرت عن وعي الشاعر بسلوك أفراد المجتمع، وتُجسّد تجاربه أو تأملاته في تفاصيل العلاقات اليومية بين الناس.

ومثال ذلك ما ورد في أرجوزة الشاعر من أبيات كانت مليئة بالحكمة، فتضمنت الحِكم الدينية والحِكم الإنسانية؛ مثل: الحِكم الاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية، حيث استخدم فيها الأمثال والأحاديث النبوية التي تُبرز العلاقات بين الناس في المجتمع:

فَكُنْ كَثِيرَ الحَذَرِ مِنْ وُلَاتِكَا ... كَحَذَرِكَ الشَّيْطَانَ فِي صَلَاتِكَا

لَا تَأْمَنَنَّ مِنْهُمْ نَصِيحًا فِي بَلَدْ ... إِلَّا حَفِيدًا ذَا احْتِفَاظٍ أَوْ وَلَدْ

وَمَا سِوَا هَذَا فَعُدَّ عَنْهُ ... لَوْ نِلْتَ مُلْكَ الْأَرْضِ مِنْ لَدُنْهُ

لَا سِيَّمَا مَنْ يَكْسِبُ الْأَمْوَالَا ... وَيَرْقُبُ الْأُمُورَ وَالْأَحْوَالَا

فَالْمَالُ يُطْغِي رَبَّهُ وَيُفْسِدُ ... نِيَّتَهُ لَوْ زَانَهُ التَّعَبُّدُ

فِي شَأْنِ هَذَا عِبْرَةٌ لِمُعْتَبِرْ ... فَلْيَزْدَجِرْ ذُو مِكْنَةٍ أَوْ يَغْتَرر

مَنْ رَفَّعَ السَّفِيهَ وَالوَضِيعَا ... لَا يَأْمَنِ الْأُمُورَ أَنْ تَضِيعَا

مَنْ يَصْطَفِي مَنْ لَيْسَ يَدْرِي قَدْرَهُ ... فَلْيَرْتَقِبْ كَمِثْلِ هَذَا غَدْرَهُ

يُقَالُ: مَنْ أَشْبَعَ كَلْبًا أَكَلَهْ ... وَمَنْ يُرَبِّي فَرْخَ ذِيبٍ خَذَلَهْ

إِنَّ الأَقَارِبَ هُمْ العَقَارِبُ ... وَالأَخُ فَخٌّ، هَذِهِ تَجَارِبُ

وَالْخَالُ لِابْنِ الْأُخْتِ كَالوَبَالِ ... وَالعَمُّ غَمٌّ، قِيلَ فِي الأَمْثَالِ

وَأَمَّا مَنْ تَدْعُوهُ نَجْلَ العَمِّ ... فَذَاكَ فِي الْأَشْيَاءِ مِثْلُ السُّمِّ

مَا يَجِدُ الإِنْسَانُ فِي الشَّدَائِدِ ... إِلَّا الْتِزَامَ وَلَدٍ وَوَالِدِ

وَ إِنَّمَا الغَيْرُ ذِئَابٌ فِي ثِيَابْ ... وَأَمْرُهُمْ فِي دَهْرِهِمْ أَمْرٌ عُجَابْ

قَدْ قَالَ رَبُّنَا: (خُذُوا حِذْرَكُمْ) ... فَهَذِهِ مَوَاعِظِي جَاءَكُمْ

فَاسْمَعْ كَلَامَ الحَقِّ دُونَ مَيْنِ ... لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مَرَّتَيْنِ[38]

يُبرز الشاعر في أبياته حِكماً إنسانية واجتماعية، وسياسية وأخلاقية، حيث طغت الحكمة الاجتماعية من خلال التحذير من الثقة العمياء، سواء في السلطة أو الأقارب. ودعا إلى الاستماع

للحق من الصادقين، مستندًا إلى الحديث النبوي: ((لا يُلْدَغُ الْمُؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ))[39]، محذرًا من الوقوع في الخطأ نفسه.

وقد وظف الشاعر أمثالًا شعبية مثل: ((من أشبع كلبًا أكله))، ((والأقارب هم العقارب))، ((والخال لابن الأخت كالوبال))، للتعبير عن خيانة الأقارب وسوء بعض العلاقات. أما الحكمة السياسية فتتمثل في الحذر من تمكين غير الأكفاء، لما يسببه من فساد، بينما ركّزت الحكمة الأخلاقية على أثر المال والسلطة في إفساد النفوس، محذرًا من الغرور، وداعيًا إلى التعلم من الأخطاء.

الخاتمة:

ندرج فيما يأتي أهمَّ النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

1. لم يكن الشاعر مجرّد ناقل للتعاليم الدينية، بل كان واعيًا بها، مؤمنًا برسالتها، ومجتهدًا في نظمها في أرجوزته؛ لينقل القيم الإسلامية بأسلوبٍ فنّي مؤثّر. وقد تنوّعت الحِكَم الدينية في أرجوزته، حيث تناول قضايا الآخرة، وفناء الدنيا، والجهاد، والصبر، والتوكّل على الله، مستندًا في ذلك إلى القرآن الكريم والسنة النبوية. كما وظّف الرمز والاقتباس لإضفاء بُعدٍ ديني وروحي على شعره، ونجح في دمج التجربة الإنسانية بالتعاليم الإسلامية، مما جعل حِكمه مؤثّرة وقريبة من المتلقي.
2. عرض الشاعر الملزوزي في أرجوزته نموذجًا ثريًّا للحِكم الإنسانية، إذ نوَّع في موضوعاتها بين الأخلاقية، والفلسفية، والسياسية، والاجتماعية، مستمدًّا إيّاها من الدين، والتجربة، والموروث الشعبي. وقد تميَّز أسلوبه بالبلاغة، التي عزَّزت قوة المعاني، وجعلت من شعره وسيلةً فعّالة لغرس القيم الإنسانية.
3. وظّف الشاعر الأمثال والحِكَم والأحاديث النبوية بشكل فني، والاقتباس غير المباشر من القرآن الكريم، مما جعل الأرجوزة مرآة صادقة لروح الإسلام ومقاصده.
4. تمثّل أرجوزة (نظم السلوك) عملًا أدبيًا فريدًا يمزج بين الشعر والحكمة والدين، ويستحق المزيد من الدراسة والاهتمام.
5. تميَّزت بعذوبتها في التعبيرِ، وخُلوّها من التصنُّع؛ فهي تنبعُ من يقينٍ راسخٍ، وإيمانٍ صادقٍ، لا من مجرَّدِ كلماتٍ تُقال.

الهوامش:

---

(1) ينظر: ذكريات مشاهير رجال المغرب(في العلم والأدب والسياسة): 947/2.

(2) ينظر: نزهة الألباب في الألقاب: 27/2.

(3) ينظر: مظاهر الثقافة المغربية:67.

(4) ينظر: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس: 58-59.

(5) ينظر: (تاريخ ابن خلدون): 1597- 1632.

(6) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة: 21/4.

(7) ينظر: معالم القربة في أحكام الحسبة :51.

(8) ينظر: تاريخ المغرب الاسلامي والأندلسي في العصر المريني:276.

(9) ينظر: نهاية الرتبة في طلب الحسبة: 6.

(10) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس:149/15.

(11) ينظر: نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: 10.

(12) ينظر: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح إلى نهاية العصر الحديث، المملكة المغربية:66/1.

(13) وهو الأمير يعقوب بن الأمير عبد الحق المكنى ب(أبي يوسف) مؤسس الامبراطورية المرينية، وهو جليل القدر عظيم الشأن سيد بني مرين، ينظر: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى:3/20-22.

(14) سورة لقمان ، آيه 12.

(15) المعجم الوسيط:190.

(16) مختار الصحاح:148.

(17) المعجم الفلسفي:18/1.

(18) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:153.

(19) الشعر الجاهلي:141.

(20) ينظر: الموجز في الأدب العربي وتاريخه:57.

(21) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 794/8.

(22) نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: 16.

(23) سورة العنكبوت:آية 15.

(24) نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك :30.

(25) سورةالزلزلة:آية7–8.

(26) نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك:72-73.

(27) سورة الرحمن،آية:26-27.

(28) نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك:100.

(29) سورة آل عمران،آية:169.

(30) نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك:114.

(31) سورةالشرح،آية: 6.

(32) نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: 114.

(33) المصدر نفسه :78-79.

(34) المصدر نفسه: 76.

(35) المصدر نفسه: 77.

(36) المصدر نفسه:36.

(37) المصدر نفسه:59.

(38) المصدر نفسه:64-65.

(39) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)وسننه وايامه:297/5.

المصادر

القران الكريم

1. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، (تحقيق: محمد عبد الله عنان)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2،(1393هـ، 1973م).
2. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت1205هـ/1790م) (تحقيق: الترزى وآخرون)، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، (1975م).
3. تاريخ المغرب الاسلامي والأندلسي في العصر المريني، محمد عيسى الحريري، الكويت، دار القلم،ط1، (1985م).
4. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)وسننه وايامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري(194هـ-256هـ)، بيت السنة لخدمة الحديث الشريف، المملكة العربية السعودية-مكة المكرمة، ط1، (1444هـ).
5. ذكريات مشاهير رجال المغرب(في العلم والأدب والسياسة)، عبد الله كنون، (تحقيق: د. محمد بن عزوز)، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار أبن حزم، المملكة المغربية، بيروت-لبنان، ط1، (1430هـ- 2010م).
6. الشعر الجاهلي، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 2، (1973م).
7. صحيح البخاري ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، دار السلام ، الرياض، ط1،(1417هـ-1997م).
8. صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط1، (2000م).
9. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر(تاريخ ابن خلدون)، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي القاهري المالكي ابن

خلدون (732-808هـ)، (تحقيق: الأستاذ خليل شحادة، ومراجعة: د. سهيل زكار)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط4، (1421م/2000م).

10. كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، (تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري)، دار الكتاب- الدار البيضاء، (1954م).
11. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (1401هـ-1981م).
12. مظاهر الثقافة المغربية، محمد بن احمد شقرون، المغرب، دار الثقافة، (1985م).
13. معالم القربة في أحكام الحسبة، محمد بن محمد ابن الأخوة (ت729هـ/1328م)، (تحقيق: محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى)، مصر، مكتب الاعلام الإسلامي، ط1، (1987م).
14. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي المصري، (1978م).
15. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2،(1985م).
16. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، إشراف: شعبان عبد المعطي عطية، وأحمد حامد حسين، وجمال مراد حلمي، وعبد العزيز النجار، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4،(1425هـ-2004م).
17. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، الهيئة العامة للمكتبة الأسكندرية،ط2، (1413هـ-1993م).
18. الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط2،(1411هـ-1991م).
19. نزهة الألباب في الألقاب، أحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجز العسقلاني (773-852)، (تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السريدي)، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1، (1409هـ/1989م).
20. نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، عبد العزيز الملزوزي (ت1382هـ/1963م)، (تحقيق: عبد الوهاب بن منصور)، الرباط، المطبعة الملكية، (1962م).
21. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبد الرحمن بن نصر الشيزري (ت590هـ/1194م)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، (1946م).

Sources

Koran.

1. Al-Ihata fi Akhbar Granada, Lisan al-Din Ibn al-Khatib, (Edited by: Muhammad Abdullah Annan), Al-Khanji Library, Cairo, 2nd ed., (1393 AH/1973 CE).
2. The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary, Muhammad Murtada al-Husayni al-Zubaidi (d. 1205 AH/1790 AD) (edited by al-Tarzi and others), Kuwait, Kuwait Government Press, (1975 AD).

3. The History of the Islamic Maghreb and Andalusia in the Marinid Era, Muhammad Issa al-Hariri, Kuwait, Dar al-Qalam, 1st ed., (1985 AD).
4. The Compendium of Authentic Hadiths: A Brief History of the Affairs, Sunnahs, and Days of the Messenger of God (peace and blessings be upon him and his family), Muhammad ibn Ismail ibn Ibrahim al-Bukhari (194 AH-256 AH), Bayt al-Sunnah for the Service of Hadith, Kingdom of Saudi Arabia-Makkah al-Mukarramah, 1st ed., (1444 AH).
5. Memories of Famous Men of Morocco (in Science, Literature, and Politics), Abdullah Kannun, (Edited by Dr. Muhammad ibn Azouz), Moroccan Cultural Heritage Center, Casablanca, Dar Ibn Hazm, Kingdom of Morocco, Beirut-Lebanon, 1st ed., (1430 AH-2010 AD).
6. Pre-Islamic Poetry, Muhammad Abd al-Mun'im Khafagi, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, Lebanon, 2nd ed. (1973).
7. Sahih al-Bukhari, Imam Muhammad ibn Ismail al-Bukhari, Dar al-Salam, Riyadh, 1st ed. (1417 AH-1997 AD).
8. Images from the Life of War and Jihad in Andalusia, Ahmad Mukhtar al-Abbadi, Alexandria, Mansha'at al-Ma'arif, 1st ed. (2000 AD).
9. The Lessons and the Diwan of Beginnings and Enduring Events in the Days of the Arabs, Persians, and Berbers and Their Contemporaries of the Greatest Powe r (Ibn Khaldun's History), Abu Zayd Wali al-Din Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Ishbili al-Qahiri al-Maliki Ibn Khaldun (732-808 AH), (Edited by: Professor Khalil Shahada, and Reviewed by: Dr. Suhail Zakar), Dar al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution, Beirut-Lebanon, 4th ed., (1421 AH/2000 CE).
10. The Book of Investigation into the News of the Countries of the Far Maghreb, by Abu al-Abbas Ahmad ibn Khalid al-Nasiri, (edited by Ja'far al-Nasiri and Muhammad al-Nasiri), Dar al-Kitab, Casablanca, (1954).
11. Mukhtar al-Sihah, by Muhammad ibn Abi Bakr al-Razi, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, (1401 AH - 1981 AD).
12. Aspects of Moroccan Culture, by Muhammad ibn Ahmad Shaqroun, Morocco, Dar al-Thaqafa, (1985 AD).

13. Landmarks of Proximity in the Rulings of Hisbah, Muhammad ibn Muhammad ibn al-Akhwah (d. 729 AH/1328 AD), (edited by Muhammad Mahmud Sha'ban and Siddiq Ahmad Issa), Egypt, Islamic Information Office, 1st ed., (1987 AD).
14. Philosophical Dictionary, Jamil Saliba, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, Lebanon, Dar al-Kitab al-Arabi al-Masri, (1978 AD).
15. Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Majdi Wahba Kamil al-Muhandis, Lebanon Library, Beirut, 2nd ed., (1985 AD).
16. Al-Mu'jam al-Wasit, Arabic Language Academy, General Administration of Dictionaries and Heritage Revival, Supervised by: Shaaban Abd al-Mu'ti Attia, Ahmed Hamed Hussein, Gamal Murad Hilmi, and Abd al-Aziz al-Najjar, Arab Republic of Egypt, Al-Shorouk International Library, 4th ed. (1425 AH-2004 AD).
17. Al-Mufassal fi Tarikh al-Arab Qabl al-Islam, Dr. Jawad Ali, General Authority of the Alexandria Library, 2nd ed. (1413 AH-1993 AD).
18. A Brief History of Arabic Literature, by Hanna Al-Fakhouri, Dar Al-Jeel, Beirut, 2nd ed., (1411 AH-1991 AD).
19. Nuzhat Al-Albab Fi Al-Alqab, by Ahmad ibn Ali ibn Muhammad, known as Ibn Hajz Al-Asqalani (773-852 AD), (edited by Abd Al-Aziz Muhammad ibn Salih Al-Suraidi), Al-Rashid Library, Riyadh, 1st ed., (1409 AH/1989 AD).
20. The System of Behavior in Prophets, Caliphs, and Kings, Abd al-Aziz al-Malzozi (d. 1382 AH/1963 CE), (edited by Abd al-Wahhab bin Mansour), Rabat, Royal Press, (1962 CE).
21. The End of Rank in Seeking Hisbah, Abd al-Rahman bin Nasr al-Shaizari (d. 590 AH/1194 CE), Cairo, Authorship Committee Press, (1946 CE).

Manifestations of wisdom in the poem (The Poem of Behavior) by Al-Malzouzi

Dr. Ahmed Hassan Helou Jaafar

Computer Engineering College

University of Technology

ahmed.h.helo@uotechnology.edu.iq

Keywords: Abdul Aziz Al-Malzouz, wisdom, human wisdom, religious wisdom

Summary:

This research seeks to analyze the poem "Nizam al-Suluk" (The System of Behavior) by the poet Abdul Aziz Al-Malzozi, highlighting the manifestations of profound wisdom in various aspects of life by shedding light on the religious, social, and political values expressed in his verses. The research aims to understand how Al-Malzozi uses his poem as a tool for conveying humane advice and wisdom. Moral, political, social, and religious issues, and explaining the concept of humility and justice in dealing with others. The reason for the poet Al-Malzouzouzi's verse in which he chronicled the history of Morocco and Andalusia was to get closer to the Caliph and take on the position of Hisbah in the state.